لأن يصير أفق الذى بعده ، واتسع عالم الحيوان ، وتعددت أنواعه وانتهى فى تدريج التكوين إلى الانسان »

وقد سمعت العلامة الأستاذ الكبير السيد عبد العزيز الثعالبي أيده الله وقواه يقول في أحد مجالسه فى الاسكندرية : « إن الناسخين حذفوا عبارة مهمة من قول ابن خلدون مستحين منها »

« والله لا يستحي من الحق » وهل فى الدين والعلم حياء يا أبناء ... يا عترة الفلحس واخوة الرُّباح [1]

والأمة الفرنسية — وما غيرها إلا مثلها — ملفقة مؤلفة (كما ذكر كاتب فى مبحث فى مجلة أسبوعية قبل الحرب المعلومة — من ثلاثة وعشرين جنساً ، منها العربى . وكل واحد من القوم يقول اليوم منتفخاً : أنا فرنسى ، أنا فرنسى . أنا ابن الغول (Gaulois) . وقد يكون (القيم) فى تونس ووالى الجزائر والضيزن [2] الفرنسى فى المغرب الأقصى (مراكش) المتكمشون [3] الجادون فى تثبيت دين محمد ... وإرساخ اللسان المبين ... فى الأقاليم المغربية — من خطان . وقد يكون ظهراء (الظهير البربري) من قريش الظواهر أو من قريش البطاح [4] فهل نقول لهم : يا سلالة عدنان ، ويا فتيات قحطان ...

وبعد فالقصيدة علوّية جارمية ، وعربية عُلْوية [5] والأستاذ الجارم أديب كبير ، و (عربى مصرى) كريم ، وما ظلم على قومه العرب المصريين ، ولكن القافية — والقصيدة على الباء — كانت من الظالمين ...

الاسكندرية

* * *

(١) (الفلحس) : الكلب ويوصف به الحريص . (الرباح) : الفرد وهو بضم الراء وتثقيل الباء وتخفيفها . وقد حملنا نفرة الناس من أسماء ذوى القربى على استعمال لفظين غريبين لهذين القريبين ...

(١) يقال : حملت فلاناً ضيزنا لفلان وهو أن ترسل بتداركاً — حفظاً — ثم ضاغطاً عليه ، وهو الآخذ على يديه دون ما يريده (الفائق)

(٢) انكمش فى سعيه وتكمش : أسرع (الأساس)

(٣) قريش الظواهر الذين نزلوا بظهور جبال مكة ، وقريش البطاح هم الذين نزلوا بطاح مكة : الشعب : بين أخشبيها : جبليها (اللسان)

(٤) غنى النعمان بشيء من دالية النابغة فقال : هذا شعر علوى أى عالى أى عالى الطبقة ، وقيل من عليا نجد (الأساس)

٥٤ . ١٠

فلسفة التربيـــة

تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٧ —

« يجب أن يكون « الفرع » آخر ما يفكر فيه أصحاب المدارس الحرة ! ! »

« أترى تلك مدارس للتربية والتعليم . أم هى مسرح من الفوضى والاضطراب ، والغش والخداع ، واحتقار الكفاءة والاعداد السقيم ؟ ؟ »

٧ — مثال سيء للتعليم الحر

أشرت من قبل إلى بعض نواحى النقص فى « التعليم الحر » ووعدت القراء بكشف ما أعلم من أسرار هذا التعليم فيما بعد ، وأنجز اليوم وعدي فى حدود تجربتي الماضية القاسية التى كنت فيها ناظراً لإحدى مدارس جمعية تعمل فيما تدعى للخير وكرم الأخلاق ! !

١ — وظيفة التعليم الحر

وأحسبك تدرى — قبل أن أتكلم — أهمية التعليم الحر فى بلد لا تستطيع معاهد حكومته أن تتسع لأكثر من نصف النشئ الراغب فى التربية والتعليم ! بل أحسب أنك ترى معى أنه ما دام الأمر كذلك فيجب ألا تقل مدارس ذلك التعليم عن مدارس الحكومة ولاسيما فى الغاية النزيهة ، والنظام المأمون ، والكفاءة المنشودة . ولكن الأمر ياعزيزى كان وما زال على غير ما يجب أن يكون ! أو قل إنه ما يزال مضطرباً فى الكثير من هاتيك المدارس التى لم يؤسسها أصحابها إلا لتكون لهم تجارة رابحة قبل أن تكون للوطن حصناً وللتربية موئلا [1] . وهأنذا أخوض بك فى مثال سيء لهذه المدارس مؤكداً أن بعض ما به من شر موجود فى غيره وغيره من مدارس العواصم والمراكز ، وأنه لا يكاد يخلو من هـذا الشر إلا مدارس تلك الجمعيات الخيرية

(١) وغير خاف عمل مدارس التبشير فى المراكز الصغيرة

المحترمة ، أو مدارس اولئك الذين للعلم عندهم كرامة ، وللاخلاق رهبة وجدارة !

٢ — مثالنا السيء

ويؤسفني كل الأسف أن أرى نفسي مضطراً — إزاء المصلحة العامة — إلى أن أصرح بهذه الحقائق القاسية التي لا تشرف هذه المدارس ولا ترضي أصحابها . وأعلم تماماً أن بعض هؤلاء الأصحاب والمديرين سيثور عليّ ، وسيحاول عبثاً أن يدافع عن نفسه وعن مدرسته بمختلف الأعذار وشتى الادعاءات . ولكن ما حيلتي وهذه الحقائق الصارخة تعلن عن وجودها على لسان المدرسين والطلبة وأولياء الأمور جميعاً ؟ ؟

مثالنا السيء هو جمعية تعمل للخير وكرم الأخلاق كما قلت ، وتتخذ من بعض الشخصيات الكبيرة الساذجة أصناماً تتقدم بها للجمهور كيما يغفل عن أسرارها ومخازيها . وقد رأت هذه الجمعية أن المدارس من أربح الوسائل وأشرفها مظهراً ، فراحت تفتح منها ما تستطيع فتحه وتحشد فيها ما يزيد على الألف تلميذ وتلميذة ! ! فهل تدري من يدير أمور هؤلاء التلاميذ ؟ ومن يقوم بتعليمهم ؟ وأين تذهب أموالهم ؟

أما المدير أو المدير كما يدعونه فهو رجل متعلم ولكنه عجيب الأطوار ، محب للسلطة والاستبداد ، سماع للأكاذيب والوشايات ، معتوه أو كالمعتوه ، لأنه سب يوماً أمامي وأمام التلاميذ جميعاً في (طابور) الصباح أستاذ الدين ورئيس « الطبيخ » سبًّا مقذعاً بينما كان الأستاذ المسكين واقفاً وسط التلاميذ ، ولأنه أحذ هراوته مرة وجرى بها خلف خادم صغير على مرأى من بنات المدرسة وكن واقفات يتأهبن لسماع نصائحه الغالية في الفناء الكبير ! ثم هو فضلاً عن ذلك مادي جشع قد احتكر لنفسه إيراد الطعام والقصف وتنظيف الأحذية لقاء ما يقوم به من إدارة بريشة وإشراف نزيه ! . وقد لا يكون في ذلك إثم كبير لو لا ما يقدم للتلاميذ من طعام سيء ، ولو لا ما يحملهم به على هذا الطعام وذلك التنظيف من ألوان العسف والامتهان والحرمان والتعنيف مما لا أول له ولا آخر[1]

(١) ولا تذكر هذه الحقائق إلا كمثال لأنواع الاستغلال المرذول في هذه المدارس ، ولأنواع الشخصيات التي لا تستطيع بحالها هذه أن تنجح في كسب احترام المدرسين وهم عماد المدرسة

وأما المدرسون فهم مجموعة متنافرة يطغى فيهم العنصر غير الفني على الفني ، لأن فيهم راسب الكفاءة والبكالوريا أو حاملها مع فريق من سيدات ورجال التعليم الإلزامي ممن لم يجدوا عملاً في الحكومة فجاءوا إلى هذه المدارس الابتدائية الأهلية يلتمسون فيها عيشاً[1] . ويضاف إلى أولئك وهؤلاء واحد أو اثنان من الفنيين لإدارة حركة المدرسة بهذا « الطقم » العجيب الذي لا استعداد فيه للتعاون والعمل بتلك المبادئ التي اصطلح الناس على أنها أصول للتربية الصحيحة والتعليم السليم ! فماذا تريد بعد هذا وقد رأيت الرأس معتلاً والأعضاء خائرة منهوكة ؟ قل ما شئت من إرهاق لهؤلاء المدرسين ومن انتدابهم ليعملوا ككتبة في شئون الجمعية الخاصة والعامة . وقل ما شئت من تضافر القوى في الجمعية على امتهان المدرس ذي الكرامة وإحراجه بتلفيق التهم ونصب الأشراك . وقل ما شئت من تدخل المدير العجيب في الشئون الفنية الخاصة وصبغه للنظام العام بهراوته المضحكة وبشخصيته المادية المتناقضة وبعيوله النهمة الغادرة ، حتى لتشعر أنك في عصابة أو مارستان . ثم قل أيضاً ما شئت من التظاهر — أمام حضرات المفتشين بما ليس موجوداً ، ومن وضع خزانات بغير ماء في المراحيض كدليل على النظافة وتوفية الشروط !! . أما التلاميذ المساكين فما أقل ما يتناولون من الكتب والكراسات ! وما أكثر ما يدفعون من الضرائب والاتاوات ! وما أشد ما يتحملون من الكلمات والضربات ! وما أخطأ ما يعاملون به من طرق لا تكوّن العقل ولا تبني الشخصية ولا تهذب الشعور !

ستعجب مما أقول ، وستتخيل أنه إنما كان بالأمس البعيد ولا وجود له اليوم . وسأقول لك إني لمسته بيدي منذ عامين اثنين ولقيت منه الأمرين وخرجت ثائراً عليه عندما لم أقو على العيش

(١) ولا يزال في المدارس الثانوية الأهلية الكثير من غير الفنيين ، وأقصد بهم من لا يحملون دبلوماً في التربية والتعليم ، أو من يحملون دبلوماً لا يصلح للمدرسة التي يعلمون بها . والواقع أن مثل كل التربية الحديثة تتطلب الالمام الواسع بعلمي النفس والتربية لا مجرد التجربة التي لا يسندها دليل . ويخطئ من يظن أن كل حامل علم قادر على أن يكون مدرساً بالمعنى الصحيح . إذ لا بد هنا من تدريب كاف تحت إرشاد أستاذ قدير . لذلك كان الحظر من ازدحام المدارس الأهلية بغير الفنيين غير يسير ، وواجب الحكومة كما قلت هو أن تدير لغير الفنيين أعمالا تناسبهم ، وتسلح جميع المدارس بالمعلم الكفؤ ، والوزارة سائرة في هذا الطريق ولكن سيرها لم يزل بطيئاً

فيه . وإذ كانت الوزارة قد خففت كثيراً من مثل تلك الفوضى بأعمال رقابة التعليم الحر فإن العيب لم يزل جسيماً ، ومجال التلاعب والعبث واسع عريض ، وممارســة التربية كفن صحيح سليم لا تكاد تتحقق فى هذه المدارس إلا فيما شذ وندر[1]

وقد تسأل بعد هذا عن تلك الأقوال الكثيرة التى تجنيها الجمعية من إعانة الوزارة ومصروفات التلاميذ ؟ وسأقول لك سل المارات الشاهقة التى يبنيها المدير أو يفاوض فى شرائها . وسل المدرسين المساكين الذين يتناولون الأجر الضئيل ويشاهدون التضخم الهائل الشديد . وسل تلك الأبنية الرطبة القذرة التى يحشدون فيها التلاميذ بغير حساب !!

ثم ليت الوقت يتسع لأقص عليك طريف ما يحدث فى تلك الدور ، أو ليته يسمح بإخبارك أن الطلبة فى المدارس الثانوية الأهلية كالوحوش يرهبهم الناظر لأنه يبغى ما لهم ، ويخشاهم الأستاذ لأنهم لا يرهبون أحدا ؛ نعم ليته يتسع أو يسمح بذكر هاتيك المخازى الكثيرة التى أسمع عنها كل يوم هنا وهناك فحسبك اليوم ذلك ، وإلى اللقاء حيث أحدثك عن ناحية أخرى

(يتبع) محمد حسن ظاظا
مدرس الفلسفة ببنها الثانوية الأميرية

(١) والسر فى ذلك واضح . نهاية المدرسة هى الكسب لا التعليم ، وصاحب المدرسة يريد أن يستغل المدرسين والطلبة إلى أبعد الحدود . وكلما شعر المدرس بالظلم والارهاق احتقر صاحب المدرسة وتبرم بعمله وأداه على نحو ميكانيكى بحت . ولولا تدخل الوزارة أخيراً فى ضبط مرتبات المدرسين لظل أغلبهم لا ينال أجره كاملا

وأعتقد بعد هذا أن بعض المدارس التى تعطيها الحكومة إعانات سنوية تستطيع أن تستغنى عن هذه الاعانات تماماً بمصروفات التلاميذ ولكن مال الوزارة فيما يبدو كثير !

بين الرافعى والعقاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٣ —

ثم ماذا ؟ ثم يقول الأستاذ سيد قطب فى ثالث أدلته على أحكامه : « يقول العقاد فى طرافة ودُعابة عن حِسان شاطئ استانبول !!

ألقى لَهُن بقوسه قُزحٌ وأدبر وانصرفْ
فلبسْنَ من أسلابه شتى المطارف والطُّرفْ

فلا يجد الرافعى فى هذه الطرافة إلا أن يتلاعب بالألفاظ فيقول : فقزح لا يلقى قوسه أبداً إذ لا ينفصل منه . قال فى اللسان : « لا ينفصل قُزَح من قوس » . فاذا امتنع فكيف يقال : « أدبر وانصرف » . أما قزح العقاد ، فلعل الخواجه قزح المالطي مراقب المجلس البلدى على شاطئ استانبول الذى قيلت فيه القصيدة

ثم يقول إن هذا المثال « فيه تلاعب وروغان ، وهو فى هذه المرة (التلاعب) أخسُّ من السابقة ، ففى الأولى كان تلاعباً بصور ذهنية ، وهو هنا تلاعبٌ بألفاظ لغوية ! »

أولا ، فمن ذا الذي يغفُل عن طرافة هذا « الخيال » الذى يتصور « قُزحاً » ملقياً بقوسه لهؤلاء الحسان ، وهن يتناهبن هذه الأسلاب ، بينما هو مدبر منصرفٌ ، مغلوب على أمره ، لا يستطيع النصفة ممن غلبَ جمالهنّ جماله !

ألا تستحق مثل هذه الطرافة ، ومثل تلك الحيوية ! من الناقد إلا أن يذهب إلى القاموس أو اللسان ، ينظر هنالك ، هل ينفصل قوس عن قزح أو لا ينفصل ؟ ثم يكمل الكلام بنهكم بارد لا يرد على الفطرة المستقيمة فى معرض هذا الجمال ! !

أهذا هو النقد الذى هو « أقرب إلى المثال الصحيح » ؟ وماقلته فى المثال الثانى يقال بنصه هنا ، فلترجع إليه جماعة الأصدقاء

ثم يعود فيقول عن هذا المثال أنه يمثل « تلاعبه بالألفاظ اللغوية ، والوقوف بها دون ما تُشِمُّه فى الخيال من صور طريفة »

انتهى كلام الأستاذ الجليل

* * *